وهذا بابٌ طَرِيفٌ مِنْ أَشْعَارِ المُحْدَثِينَ

قال [١/٢٩٧] مُطِيعُ بنُ إيَاسٍ اللَّيْثِيُّ يَرْثِي يحيىٰ بنَ زِيادٍ الحارثيَّ، وكان صديقَهُ[١]، وكانا مَرْمِيَّيْنِ جميعاً[٢] بالخروج عن المِلَّةِ:

يـا أَهْـلِ بَكُّـوا لِقَلْبِيَ القَـرِحِ ... ولِلدُّمُـوعِ الهَـوامِلِ السُّفُحِ[٣] [٧٧٠]

رَاحُـوا بِيَحْيَىٰ إلـى مُـغَـيَّبَـةٍ ... في القبرِ بينَ التُّرَابِ والصُّفُحِ[٤]

رَاحُـوا بيحيىٰ ولـو تُـطاوِعُنِي آلْـ ... أَقْـدارُ لـم يَـبْـتَـكِـرْ ولـم يَـرُحِ

يـا خيرَ مَنْ يَحْسُنُ البُكَاءَ له آلْـ ... يَوْمَ ومَنْ كـانَ أَمْسِ لِلْمِـدَحِ[٥]

وفي يحيىٰ يقولُ مطيعٌ لنَبْوةٍ كانتْ بينهما:

كـنـتُ ويَـحْـيَـىٰ كـيَـدَيْ واحِـدٍ ... نَـرْمِي جميعـاً ونُـرَامِي مَعَـا[٦]

إنْ سَـرَّهُ الـدَّهْـرُ فقـد سَـرَّنِي ... أو حـادِثٌ نـابَ فقـد أَفْـظَعَـا

---

(١) في الأصل: صديقاً له. وبهامشه كما في المتن.

(٢) في س و ف: جميعاً مرميين.

(٣) الأبيات في أمالي المرتضى ١/١٤٣ - ١٤٤، وهي غير الثاني في الأغاني ١٣/٢٨٩.

(٤) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: الصُّفُح جمع صفيحة، وهي القطعةُ العريـ[ضة من] الصخر، والجمع أيضاً صفائحُ. وكانوا يجعلون ذلك في القبور واللُّحود مكان اللبن».

(٥) زاد في الأصل:

قـد ظـفـر الحـزن بـالـسـرور وقـد ... أُديـل مـكـروهُـنـا مـن الـفـرحِ

(٦) الأبيات في الأغاني ١٣/٣٠٨، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٩٥، وشرح أبيات المغني ٦/١١. وهي غير الثالث باختلاف في الرواية لرجل مخزومي اسمه محمد له صاحب جمحي اسمه يحيى، انظر ذيل الأمالي ١٤ ــ ١٥، وذيل السمط ٩.

أو نـامَ نـامـتْ أعْـيُـنٌ أرْبَـعٌ مِنَّـا، وإن هَـبَّ فَـلَنْ أهْـجَـعَـا
حتى إذا مـا الشَّيْبُ في عـارِضِي لاح وفـي مـفْـرِقِـهِ أسْـرَعَـا
سَـعَـى وُشَـاةٌ طُـبِّـنَ بَـيْـنَـنَـا فكـادَ حَبْلُ الـوَصْلِ أن يُقْـطَعَا[1]
فـلم أُلْـمْ يَـحْـيَـىٰ عـلى حـادِثٍ ولـم أقُـلْ جَـارَ[2] ولا ضَـيَّـعَـا

***

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبِيُّ يَرْثِي عليَّ بنَ سَهْلِ بنِ الصَّبَّاحِ، وكان له صَديقاً:

يـا خَـيْـرَ إخْـوانِـهِ وأعـطَفَهُـمْ عـليـهـمُ راضِـيـاً وغَـضْـبـانَـا
أمْسَيْتَ حُـزْنـاً وصـار قُـرْبُـكَ لي بُـعْـداً وصـارَ اللِّقـاءُ هِـجْـرانَـا
إنَّـا إلـى الله راجِـعُـون لَـقـد أصْبَـحَ حُـزْني عـلـيـكَ أَلْـوَانَـا
[٧٧١] حُـزْنُ اشتيـاقٍ وحـزنُ مَـرْزِئَـةٍ إذا انْقَضَىٰ عـادَ كـالـذي كَـانَـا

قوله[3]: «يا خَيْرَ إخوانِه» محالٌ وباطلٌ، وذلك أنه لا يضافُ «أفْعَلُ» إلى شيءٍ إلّا وهو جزءٌ منه[4].

وقال أيضاً:

دَعَـوْتُـكَ يـا أُخَيَّ فلم تُـجِبْـنِي فـرَدَّتْ دَعْـوَتِـي حُـزْنـاً عَـلَيَّـا
بِـمَـوْتِـكَ مـاتَتِ الـلَّذَّاتُ مِـنِّـي وكـانـتْ حَـيَّـةً إذْ كُـنْـتَ حَـيَّـا
فيَـا أسَفَىٰ عليـكَ وطـولَ شَـوْقِي إلـيـكَ لَـوَ آنَّ ذاكَ يَـرُدُّ شَـيَّـا

***

---

(١) بهامش أ ما نصّه: «قال أبو زيد: يقال: طَبِنْتُ له وطَبَنْتُ له من الفطنة، ورجل طَبِنٌ بيِّنُ الطَّبانة والطَّبانية وقال غيره: يقال: رجلٌ طَبِن وطابنٌ وذلك إذا لَزِق بالرجل وعرف كلَّ امره».

(٢) في أ و هـ: خان.

(٣) ليس في ب و د و هـ و ي.

(٤) في أ وهامش الأصل: «لا يضاف الشيء إلى شيء [في أ: الشيء] هو جزء منه» وهو خطأ.

وحدثني رجلٌ من أصحابنا قال: شهدتُ رجلاً في طريق مكةَ مُعْتَكِفاً على قبرٍ، وهو يُرَدِّدُ شيئاً[1]، ودموعُهُ تَكِفُ من لحيتِه[2]، فدَنَوْتُ إليه لأسمعَ ما يقولُ، فجعلتِ العَبْرَةُ تَحُولُ بينَه وبينَ الإبانةِ، فقلتُ له: يا هذا، فرفعَ رأسَه إليَّ، وكأنما[3] هَبَّ من رَقْدةٍ [٢/٢٩٧]، فقال: ما تشاءُ؟ فقلت له[4]: أعلَى أبيك تبكِي؟ قال: لا، قلتُ: فعلَى ابنك[5]؟ قال: لا، ولا علَى نَسِيبٍ ولا صَديقٍ، ولكنْ علَى مَنْ هو أخَصُّ منهما، قال[6]: قلتُ: أوَ يكونُ أحدٌ أخَصَّ ممن ذَكَرْت؟ قال: نعم، مَنْ أُخْبِرُكَ عنه، إنَّ هذا المَدْفونَ كان عدوًّا لِي من كل بابٍ، يَسْعَىٰ عليَّ في نفسِي وفي مالِي وفي ولدِي، فخرجَ إلى الصَّيْدِ أيْأَسَ[7] ما كنتُ من عَطَبِهِ، وأكْمَلَ ما كان من[8] صِحَّتِهِ، فرمَىٰ ظَبْياً فأقْصَدَهُ، فذَهَبَ ليأخذَه، فإذا هو قد أنْفَذَه حتى نَجَمَ سهمُه من صَفْحةِ الظَّبْيِ[9]، فَعَثَرَ فتَلَقَّىٰ بفُؤادِهِ ظُبَةَ السَّهْمِ، فَلَحِقَهُ أولياؤُه فانتزَعُوا السهمَ وهو والظَّبْيُ مَيِّتَانِ، فَنَمىٰ إليَّ خبرُه، فأسرعتُ إلى قبره مُغْتَبِطاً بفقدِه[10]، فإني لَضَاحِكُ السِّنِّ إذْ وقعتْ عيني على صخرةٍ، فرأيتُ عليها كتاباً، فَهَلُمَّ فاقْرَأْهُ، وأوْمَأَ إلى الصخرة، فإذا عليها[11]:

وما نَحْنُ إلاَّ مِثْلُهُمْ غيرَ أنَّنا أقَمْنَا قليلاً بعدَهم وتَقَدَّمُوا

---

(١) في الأصل و س و ي: بيتاً.
(٢) في الأصل: على لحيته.
(٣) في الأصل: كانما. وفي س و د و ف و ي و هـ و ظ: فكأنما.
(٤) ليس في ر و هـ.
(٥) في أ: أعلى ابنك.. فعلى أبيك. وفي ف: أفعلى، وفي هـ: على.
(٦) ليس في أ و د.
(٧) في هـ و ي وهامش الأصل من نسخة ابن الإفليلي: «آيَسَ».
(٨) في ف و ظ و ب و ي: في.
(٩) في ب و س و د و ف و ظ و ي: «البطن».
(١٠) في الأصل: لفقده.
(١١) زاد في الأصل و ف و ظ: مكتوب.

[٧٧٢] قلتُ أشْهدُ أنك تبكِي على مَنْ بُكاؤُكَ عليه أحقُّ من النَّسِيبِ.

***

ومما آسْتَطْرَفْنَا من شعر[1] المَحْدَثِينَ قولُ يعقوبَ بنِ الرَّبِيعِ في جاريةٍ طَالَبها سبعَ سنينَ، يَبْذُلُ فيها جاهَه ومالَه وإخوانَه حتى مَلَكَهَا، فأقامت عنده ستةَ أشهرٍ ثم ماتَتْ، فقال فيها أشعاراً كثيرةً، اخترنا منها بعضَها، من ذلك قولُه:

لله آنِسَةٌ فُجِعْتُ بها ... ما كان أبْعَدها من الدَّنَسِ
أتَتِ البِشارةُ والنَّعِيُّ معاً ... يَا قُرْبَ مَأْتَمِهَا من العُرُسِ
يا مُلْكُ نالَ الدَّهْرُ فُرْصَتَهُ ... فَرَمَى فُؤاداً غيرَ مُحْتَرِسِ
كم مِنْ دُموعٍ لا تَجِفُّ ومِن ... نَفْسٍ عليكِ طويلةِ النَّفَسِ
أبْكِيكِ ما ناحتْ مُطَوَّقَةٌ ... تحتَ الظِّلام تَنُوحُ في الغَلَسِ
يا مُلْكُ فِيَّ وفيكِ مُعْتَبَرٌ ... ومواعِظٌ يُوحِشْنَ ذا الأُنُسِ
ما بعدَ فُرْقةِ بَيْنِنَا أبداً ... في لَذَّةٍ دَرَكٌ لِمُلْتَمِسِ

وأَخَذَ ما في صدرِ هذا الكلامِ من قولِ القائلِ[2]:

رُبَّ مَغْروسٍ يُعاشُ بِهِ ... فَقَدَتْهُ كَفُّ مُغْتَرِسِهْ
وكذاكَ الدَّهْرُ مَأْتَمُهُ ... أقْرَبُ الأشياءِ مِنْ عُرُسِهْ

وقريبٌ من هذا قولُ امرأةٍ شريفةٍ تَرْثِي زوجَها، ولم يكن دَخَلَ بها[3]:

أبْكِيكَ لا لِلنَّعيمِ والأُنُسِ ... بل للمَعالِي والرُّمْحِ والفَرَسِ

---

(١) في ف و ظ: أشعار.

(٢) هو سليمان بن الوليد الأعمى كما في البيان والتبيين ٢٠٢/٣، والحيوان ١٩٦/٤، وعيون الأخبار ٦١/٣.

(٣) بهامش أ ما نصُّه: «قال ابنُ شاذان: هذا الشعر لِلُبانةَ بنتِ موسى الهادي في محمد الأمين، وهي بنت عمّه، وكانت تحت الأمين وقُتِل ولم يدخل بها فقالت ترثيه: أبكيك لا للنعيم.. الأبيات».
قلتُ: كذا وقع، وهي لبانة بنت علي بن المهدي كما في تاريخ الطبري ٥٠١/٨، والعقد ٢٧٧/٣، ووقع في مروج الذهب ٤٢٣/٣ ونزهة الجلساء ٦٧ «لبابة»، وانظر الأبيات فيها.

أَبْكِي على فارِسٍ فُجِعْتُ به ... أَرْمَلَنِي قبلَ ليلةِ العُرُسِ
يا فارساً بالعَراءِ مُطَّرَحاً ... خانَتْهُ قُوَّادُهُ مع الحَرَسِ [٧٧٣]
مَنْ لليتامَى إذا هُمُ سَغِبُوا ... وكلِّ عانٍ وكُلِّ مُحْتَبَسِ
أَمْ مَنْ لِبِرٍّ أَمْ مَنْ لفائدةٍ [١/٢٩٨] ... أَمْ مَنْ لذِكْرِ الإلهِ في الغَلَسِ[1]

ومما أستطرفهُ من شعرِ يعقوبَ قولُه:

ليتَ شِعْرِي بِأَيِّ ذنبٍ لِمُلْكٍ ... كان هَجْرِي لِقَبْرِها[2] وآجْتِنابي
أَلِذَنْبٍ حَقَدْتُهُ كانَ منها ... أَمْ لِعِلْمِي بشُغْلِها عن عِتابي
أَمْ لأَمْنِي لِسُخْطِها ورِضاها ... مُنْذُ[3] واريتُ وَجْهَها في التُرابِ
ما وَفَى في العبادِ حَيٌّ لِمَيْتٍ ... بعد يَأْسٍ منه له في الإيَابِ

وفي هذا الشعرِ:

إنما حَسْرَتِي إذا ما تَذَكَّرْ ... تُ عَنائِي بها وطولَ طِلَابي
لم أَزَلْ في الطِّلَابِ سَبْعَ سِنِينٍ ... أَتَأَتَّى لذاكَ مِنْ كُلِّ بابِ
فآجْتَمَعْنا على آتِّفاقٍ وقَدْرٍ ... وغَنِينا عن فُرْقةٍ بآصْطِحابِ
أَشْهُراً سِتَّةً صَحِبْتُكِ فيها ... كُنَّ كالحُلْمِ أو كَلَمْعِ السَّرَابِ
وأَتانِي النَّعِيُّ منكِ مع البُشْـ ... ـرَى فيا قُرْبَ أَوْبةٍ من ذَهابِ

ومن مَليحِ شعرِهِ قولُه يرثيها:

حتى إذا فَتَرَ اللسانُ وأَصْبَحَتْ[4] ... للموتِ قد ذَبَلَتْ ذُبولَ النَّرْجِسِ
وتَسَهَّلَتْ منها مَحاسنُ وجهِها ... وعَلا الأَنينُ تَحُثُّهُ بتَنَفُّسِ
رَجَعَ اليقينُ مَطامِعِي يَأْساً كما ... رَجَعَ اليقينُ مَطامِعَ المُتَلَمِّسِ

---

(١) في أ و ي: والغلس، وهو خطأ.
(٢) في س و د و هـ: لغيرها، وهو تصحيف.
(٣) في أ و س وهامش الأصل: «حين». وعليه بهامش الأصل: «ع» يعني رواية أبي علي.
(٤) في س: وأسلمت.

[٧٧٤]

ومن مليح شعرِه أيضاً قولُه[1]:

فُجِعْتُ بمُلْكٍ وقد أيْنَعَتْ ... وتَمَّتْ فأَعْظِمْ بها مِنْ مُصِيبَهْ
فأَصْبَحْتُ مَغْتَرِباً بعدَها ... وأَمْسَتْ بحُلْوَانَ مُلْكٌ غَرِيبَهْ
أَرَانِي غَرِيباً وإنْ أَصْبَحَتْ ... مَنازلُ أَهْلِيَ مِنِّي قَرِيبَهْ
خَلَفْتُ على أُخْتِها بعدَها ... فصادفتُها ذاتَ عَقْلٍ أَدِيبَهْ
فأَقْبَلْتُ أَبْكِي وتَبْكِي مَعِي ... بُكاءَ كَئِيبٍ بِحُزْنٍ كَئِيبَهْ
وقلتُ لها مَرْحَباً مَرْحباً ... بوجهِ الحَبِيبةِ أُخْتِ الحَبِيبَهْ
سَأُصْفِيكِ وُدِّي حِفاظاً لها ... فَذاكِ الوَفاءُ بِظَهْرِ المَغِيبَهْ
أَرَاكِ كَمُلْكٍ وإنْ لم تَكُنْ ... لِمُلْكٍ من الناسِ عندِي ضَرِيبَهْ

ومما اخترنا من مَرْثِيَةِ يزيدَ المُهَلَّبِيِّ لأمير المؤمنين المُتوكِّلِ[2] على الله قولُه:

لا حُزْنَ إلّا أَرَاهُ دُونَ ما أَجِدُ ... وهَلْ كَمَنْ فَقَدَتْ عيناىَ مُفْتَقَدُ
لا يَبْعَدَنْ هالِكٌ كانَتْ مَنِيَّتُهُ ... كما هَوَىٰ عن غِطاءِ الزُّبْيَةِ الأَسَدُ
لا يَدْفَعُ الناسُ ضَيْماً بعدَ لَيْلَتِهِمْ ... إذْ لا تُمَدُّ إلى الجانِي عليكَ يَدُ [٢/٢٩٨]
لَوْ أنَّ سَيفِي وعَقْلِي حاضِرانِ له[3] ... أَبْلَيْتُهُ الجُهْدَ إذْ لم يُبْلِهِ أَحَدُ
جاءتْ مَنِيَّتُهُ والعَيْنُ هاجِعَةٌ ... هَلّا[4] أَتَتْهُ المَنايَا والقَنَا قِصَدُ
هَلّا أَتَتْهُ أعادِيهِ مُجاهِرَةً ... والحَرْبُ تُسْعَرُ والأَبْطالُ تَجْتَلِدُ
فَخَرَّ فوقَ سريرِ المُلْكِ مُنْجَدِلاً ... لم يَحْمِهِ مُلْكُهُ لمّا انْقَضَى الأَمَدُ
قد كان أنصارُه يَحْمُونَ حَوْزَتَهُ ... ولِلرَّدَىٰ دونَ أَرْصادِ الفَتَىٰ رَصَدُ[5]

---

(١) من أ و ب. وزاد في ب: يرثيها. وفي د: «ومن مليح شعره».
(٢) في أ: يزيد المهلبي للمتوكل على الله.
(٣) في س و ف: عقلي وسيفي.
(٤) في الأصل: ألّا.
(٥) بهامش أ ما نصّه: «المهلبيُّ: الرَّصَدُ: القوم الراصدون، كما قالوا طَلَبٌ للقوم الطالبين، وجَلَبٌ للقوم الجالبين».

وأصبحَ الناسُ فَوْضَىٰ يَعْجَبُونَ له ... لَيْثاً صَرِيعاً تَنَزَّىٰ حَوْلَهُ النَّقَدُ[1] [٧٧٥]

عَلَتْكَ أَسْيافُ مَنْ لاَ دُونَه أَحَدٌ ... وليسَ فوقكَ إلاَّ الواحدُ الصَّمَدُ

جاؤُوا عَظِيماً لِدُنْيَا يَسْعَدُون بها ... فقد شَقُوا بالذي جاؤُوا وما سَعِدُوا

ضَجَّتْ نِساؤُكَ بعدَ العِزِّ حينَ رَأَتْ ... خَدًّا كريماً عليه قارِتٌ جَسِدُ[2]

أَضْحَىٰ شهيدُ بني العباسِ موعظةً ... لكلِّ ذي عِزَّةٍ في رأسِهِ صَيَدُ[3]

خَليفةٌ لم يَنَلْ ما نَالَهُ أحدٌ ... ولم يُضَعْ مثلَه رُوحٌ ولا جَسَدُ

كم في أَدِيمِكَ مِنْ فَوْهاءَ هادِرَةٍ ... من الجَوَائِفِ يَغْلِي فوقَها الزَّبَدُ[4]

إذا بُكيتَ فإنَّ الدمعَ مُنْهَمِلٌ ... وإنْ رُثِيتَ فإنَّ القَوْلَ مُطَّرِدُ

قد كنتُ أُسْرِف في مالي وتُخْلِفُ لِي ... فَعَلَّمَتْنِي اللَّيالي كيفَ أَقْتَصِدُ

لَمَّا آعْتَقَدْتُمْ أُناساً لا حُلُومَ لهمْ ... ضِعْتُمْ وضَيَّعْتُمُ مَنْ كانَ يُعْتَقَدُ

ولو جَعَلْتُمْ على الأَحْرارِ نِعْمَتَكُمْ ... حَمَتْكُمُ السادةُ المَذْكُورَةُ الحُشُدُ

---

(١) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: النُّقَدُ من الشاء: الصغارُ الأجْرام».

(٢) بهامش الأصل ما نصُّه: «في حاشية كتاب ف [يعني نسخة ابن الإفليلي]:

يقال: قَرَتَ الدمُ قُرُوتاً، ودمٌ قَارِتٌ: يابسٌ بين جلد ولحم، ومِسْكٌ قارِتٌ وهو أجفّه وأجوده، وقال:

يُعَلّ بقَرْآتٍ من المِسْكِ قاتِنِ

وقَرْآتٌ فَعَالٌ، وقاتِن: مِسْكٌ قاتِنٌ: قد قتن قُتُوناً: يابسٌ لا نُدُوَّةَ فيه» اهـ. وستأتي هذه الحاشية على أنها من كلام أبي الحسن.

وقوله: «يعل بقرّات....» أنشده صاحب اللسان (قرت) وفيه «من المسك فاتق» وفسّره بأنه ذو فتق، وهو تحريف، والصواب ما هنا.

وبهامش أ ما نصُّه: «[قَرَتَ الدمُ يَقْرُتُ] قُروتاً، قال أبو عمر: قَرَتَ الدمُ يقرِتُ ويقرُت وقَرِتَ يَقْرَت قَرْتاً وقُروتاً والدمُ قارِتٌ، وقَرِتَ الجِلْدُ: إذا ضُرِبَ فاخضرَّ أو اسودَّ، وقَرِتَ الرجلُ: إذا تغيَّر وجهُهُ من حزن أو غيظ. ابن شاذان: يقال [دمٌ] جَسِدٌ وجاسِدٌ [إذا] جَفَّ».

(٣) بهامش أ ما نصّه: «ابنُ شاذان: الصَّيَدُ: داءٌ يصيبُ الإبلَ تلتوي منه أعناقُها، فلذلك سمّي المتكبّر أَصْيَد: إذا لوى عنقه».

(٤) بهامش أ ما نصّه: «قال ابن شاذان: ويقال طعنةٌ جائفةٌ والجمع جوائف: إذا بلغتِ الجوف، وهذه الياء أصلها الواو. وطعنة فَوْهاءُ أي واسعةٌ».

قومٌ همُ الجِذْمُ والأنسابُ تجمعُهم[1] والمَجْـدُ والـدِّيـنُ والأرْحـامُ والبَـلَدُ
إذا قُـرَيْشٌ أرَادُوا شَـدَّ مُـلْكِـهِـمُ بغيـرِ قَحْـطانَ لم يَبْـرَحْ بِـهِ[2] أوَدُ
فـد وُتِر النـاسُ طُـراً ثُمَّ قـد صَمَتُـوا حتى كَـأنَّ الـذي نِـيلُوا بِـهِ رَشَـدُ
[٧٧٦] مِنَ الأُلَى وَهَبُـوا للمـجْـدِ أنفسَهـم فمـا يُبـالـونَ مـا نـالُـوا إذا حُمِـدُوا

[قال أبو الحسن[3]: قولُه «قَارِتٌ» يقال: «قَرَتَ الدَّمُ يَقْرُتُ قُرُوتاً، ودَمٌ قارِتٌ»: قد يَبِسَ بين الجِلْدِ واللحم، ومِسْكٌ «قارِتٌ» وهو أَجْفُهُ[4] وأَجْوَدُهُ، قال:

يُعَلُّ بقَرَّاتٍ من المِسْكِ قانِنِ

و «قَرَّاتٌ» «فَعَّالٌ» و«قانِنٌ» مسكٌ قانِنٌ: قد قَنَنَ قُتوناً، أي يابِسٌ لا نُدوَّةَ فيه].

(١) في الأصل و ف و ظ و ب و س و د: تجمعكم.
(٢) في هـ: بهم.
(٣) قول أبي الحسن من ب و س و ف و ظ. وقد نقلته فيما سلف قبل قليل من هامش الأصل من غير ما نص على أنه قول أبي الحسن.
(٤) وقع مصحفاً في ب و ف و ظ وكذا كان بهامش الأصل بالخاء «أخفه». وفي س: أجلُه، وهو تحريف.